عملية "طوفان الأقصى": الأبعاد والتداعيات الجيوستراتيجية المحتملة

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

عملية "طوفان الأقصى": الأبعاد والتداعيات الجيوستراتيجية المحتملة

زكريا حلوي
باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية
-المغرب-

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

17 اكتوبر 2023

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

استفاق العالم صباح يوم السبت 7 أكتوبر 2023، على عملية "طوفان الأقصى" التي تعد هجوما تاريخيا غير مسبوق شنته كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الفلسطينية "حماس" في مناطق ومستوطنات داخل إسرائيل على حدود قطاع غزة. وأثار حجم هذه العملية التي تزامنت مع الذكرى الخمسون لحرب أكتوبر1973، وطريقة تنفيذها وعنصر المفاجأة فيها، حالة من الصدمة والذهول لدى أغلب المتابعين للشأن السياسي بما فيهم الإسرائيليون أنفسهم، الذين لطالما تباهوا بقدرات إسرائيل العسكرية وقوة نظامها الاستخباراتي.

غير أن هذه العملية تدفعنا لطرح العديد من التساؤلات أهمها، كيف تفوقت المقاومة بعتادها التقليدي على أكبر نظام استخباراتي في العالم؟ لماذا اختارت "حماس" هذا التوقيت لتنفيذ العملية؟ ماهي أبرز التداعيات الجيوستراتيجية المحتملة لعملية "طوفان الأقصى"؟.

أولا: هشاشة النظام الأمني الإسرائيلي

أظهرت عملية "طوفان الأقصى" النوعية والتاريخية هشاشة غير مسبوقة في الأداء الاستخباري والعملياتي للنظام الأمني الإسرائيلي الذي يعد الأكثر تطورا والأحدث على مستوى العالم، إذ أثبت كتائب عز الدين القسام مدى الدهاء والذكاء في التخطيط رغم الإمكانيات المحدود مقارنة بالقدرات الإسرائيلية. فقد اختارت المقاومة يوم السبت باعتباره يوم إجازة رسمية لدى إسرائيل لشن هذه العملية باستخدام أساليب متنوعة برا، بحرا وجوا.

ونجحت المقاومة في عمليات التمويه والمباغتة وتضليل الأنظمة الاستخبارات العسكرية المتطورة التي وضعتها إسرائيل على الحاجز الأمني لغلاف غزة، وذلك بإطلاق 5 ألاف صاروخ نحو مواقع ومطارات إسرائيلية لتضليل نظام الرصد والمراقبة، ثم تسلل عناصر كتائب القسام بطرق تقليدية جوا وبحرا وبرا مخترقين الجدار العازل.

ر حيث فرض عناصر "حماس" قواعد اشتباك ووقائع ميدانية جديدة وغير مسبوقة، فبعد أن اعتاد الاحتلال فرض قواعد الاشتباك وساحته، انقلب الأمر هذه المرة وغدت ساحة الحرب في قلب إسرائيل بدل قطاع غزة، ورأى العالم مشاهد تجول المقاومين في شوارع مستوطنات غلاف غزة، ودخول عناصر من المقاومة الفلسطينية للقواعد العسكرية الإسرائيلي، ومشاهد حرق دباباتها، وأسر جنود الاحتلال على يد عناصر المقاومة، مما اعتبر إذلالا للمحتل الإسرائيلي، وكشف عن ضعف وهشاشة أمنه العسكري.

العنوان: العراق ـ بغداد ـ الكرادة ـ عرصات الهندية ـ مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Website: http://www.horsiraq.net
Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: horsiraq@yahoo.com

كما أن توقيت العملية وتاريخها المتزامن مع الذكرى الخمسون لحرب أكتوبر1973 الذي حققت فيه الجيوش العربية نصرا كبيرا على المحتل الاسرائيلي له دلالة رمزية لدى العالم العربي والإسلامي، ورسالة من المقاومة الفلسطينية لاستنهاض الأمة من جديد وتذكيرها بأمجادها وقدراتها على دحض المحتل رغم ما يمتلكه من قدرات عسكرية كبيرة.

ثانيا: صفقة تبادل الأسرى

لا يزال عدد الأسرى الإسرائيليين الذين وقعوا في أيدي المقاومة الفلسطينية غير مؤكد بشكل نهائي، حيث أعلنت الحكومة الإسرائيلية أنه وصل إلى أكثر من 100 شخص، في المقابل قال المتحدث باسم حركة "حماس" بأن العدد الإجمالي للإسرائيليين الذين أسرتهم الحركة يوم السبت أكثر مما أعلنت عليه الحكومة الإسرائيلية بأضعاف مضاعفة، ومن بينهم ضباط كبار في الجيش الإسرائيلي.

كما أكد الأمين العام لحركة "الجهاد الإسلامي" الفلسطينية "زياد النخالة" لوكالة معا نستطيع الفلسطينية، مساء الأحد، أن "أسرى العدو من الجنود والمستوطنين الذين نقبض عليهم في غزة بالعشرات"، مؤكدا أن "الجهاد الإسلامي لديها أكثر من 30 أسيرا من العدو حتى اللحظة، وأضاف أن "الإسرائيليين المحتجزين في قطاع غزة لن يطلق سراحهم دون الإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية".

وتمكن المقاومة الفلسطينية من أسر هذا العدد الكبير من الجنود والمستوطنين سيجعل لها اليد العليا في تحرير الأسرى الفلسطينيين القابعين في سجون الاحتلال، رغم نفي الحكومة الإسرائيلية وجود أي مفاوضات لحد الساعة بخصوص مبادلة الأسرى، إلا أن نجاح "حماس" في عملية المقايضة سيعزز من مكانتها وشعبيتها بشكل شبه مطلق، في ظل تراجع كبير للسلطة الفلسطينية التي تعاني انسدادا مطبقا في مشروعها السياسي الذي لم يتبق منه شيء، وتراجع في شعبيتها في الضفة الغربية.

كما أن حماس تعرف أن من ضمن الأسرى رعايا يحملون جنسيات أجنبية(روس، صينيون، أمريكيون...) ستحاول دولهم الضغط على إسرائيل لوقف العملية العسكرية على غزة، فحماس احتجزت الرهائن كسياسة تأمين من التحرك الإسرائيلي للرد عبر هجوم بري ضخم، ولمبادلتهم بالأسرى الفلسطينيين.

ثالثا: تجميد عملية التطبيع السعودية-الإسرائيلية

ترعى الولايات المتحدة مسار تطبيع العلاقات السعودية مع إسرائيل، وهو تحول جيوسياسي كبير سيؤدي إلى تجاوز القضية الفلسطينية وترك مصير الفلسطينيين تحت تصرف حكومة نتنياهو المتطرفة. وتعمل الولايات المتحدة على دمج إسرائيل في المنطقة وبناء نظام إقليمي جديد، بالموازاة يواصل مسار التطبيع طريقه دون عقبات كبيرة، ويأخذ موضعه في البيئة السياسية للمنطقة بما له من تأثير على الموقف العربي والإسلامي من إسرائيل.

في مواجهة ذلك، كان لدى الفلسطينيين خيارات محدودة لمنع تصفية القضية وحسم الصراع لصالح إسرائيل، والتصدي لمسار دمج إسرائيل في المنطقة، ومنحها وضعية قيادتها وتقرير مصيرها. والخيار الأكثر فاعلية هو المقاومة العسكرية من غزة، والتي صممت شكل المعركة الحالية كي تعطل مسارات تصفية القضية وتجاوز الفلسطينيين عبر مسارات محلية وإقليمية ودولية.

إن مشاريع تطبيع دول عربية وازنة مثل السعودية مع إسرائيل تحتل بلا شك مكانة في عقل حركة "حماس"، وهي حريصة على تعطيل مسار هذا التطبيع، أو في الحد الأدنى منع تداعياته من الإضرار بالقضية الفلسطينية، وتهميش دور المقاومة في محيطها الإقليمي، في وقت تبني فيه إسرائيل شراكات متزايدة مع العالم العربي.

ويتوقع أن تدفع الحرب الجارية بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية إلى عودة السعودية للقيام بدورها التقليدي في الدفاع الدبلوماسي عن الشعب الفلسطيني ضد أي عدوان خارجي، وعدم إعطاء التطبيع مع إسرائيل أولوية على حساب دعم حقوق الفلسطينيين، وهو ما لمسناه من خلال بلاغ لوزارة الخارجية السعودية تؤكد فيه "تحذيراتها المتكررة من مخاطر انفجار الأوضاع نتيجة استمرار الاحتلال وحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة وتكرار الاستفزازات الممنهجة ضد مقدساته".

رابعا: إيران بين الاتهام والنفي

أشارت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية، نقلا عن مسؤولين كبار في حركتي "حماس" و"حزب الله"، أن إيران ساعدت "حماس" في التخطيط للهجوم على إسرائيل عبر عملية "طوفان الأقصى"، وأن ضباط الحرس الثوري الإسلامي يعملون على تفاصيل الخطة مع ممثلي حماس منذ غشت الماضي، وأن هناك لقاءات سرية جرت في العاصمة اللبنانية بيروت بين الطرفين للتخطيط للعملية. في المقابل صرح وزير الخارجية الأمريكي "أنتوني بلينكن"،

أنه ليس لدى الولايات المتحدة أي دليل على تورط إيران في عملية "طوفان الأقصى".

وبالرغم من إعلان المستشار العسكري للمرشد الإيراني "علي خامنئي"، أن إيران تدعم العملية العسكرية التي تشنها حركة المقاومة الإسلامية "حماس"على إسرائيل، إلا أن بعثة إيران لدى الأمم المتحدة صرحت في بيان لها يوم الأحد الماضي بأن طهران لم تشارك في عملية "طوفان الأقصى"، وأكدت البعثة دعم فلسطين على نحو لا يتزعزع، لكن إيران لا تشارك في الرد الفلسطيني، لأن فلسطين فقط هي التي تتولى ذلك بنفسها.

وقالت البعثة بأن "الإسرائيليين يحاولون تبرير فشلهم ونسبه إلى القوة الاستخباراتية الإيرانية والتخطيط العملياتي، وأنهم يجدون صعوبة بالغة في قبول ما يتردد في أجهزة المخابرات عن هزيمتهم على يد مجموعة فلسطينية، وهو ما يمثل "أكبر فشل" للأجهزة الأمنية الإسرائيلية.

خامسا: التداعيات الجيوستراتيجية لعملية "طوفان الأقصى"

من المؤكد أن عملية "طوفان الأقصى" ستفرز تداعيات جيوستراتيجية عديدة على الوضع في فلسطين وفي الشرق الأوسط، وعلى مسار القضية الفلسطينية، ومسألة الاستقرار في المنطقة، وستكون لها ارتدادات قوية على السياق الإقليمي المؤثر في ديناميكية الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. ونشير هنا إلى أن:

-عملية "طوفان الأقصى" ستخلف وراءها مجازر كبيرة في حق الفلسطينيين على أيدي القوات العسكرية الإسرائيلية، وهو ما لمسناه في اليومين الأولين مع بدأ الغزو الإسرائيلي لقطاع غزة وفق عملية "السيوف الحديدية"، حيث تجاوز عدد القتلى الفلسطينيين 500 قتيل، والرقم في ارتفاع مع تزايد القصف الإسرائيلي، مما سيدفع الأطراف الإقليمية والدولية إلى التحرك بحثا عن مخرج لوقف هذه الحرب.

-اعتماد إسرائيل على خيار الحرب حاليا عبر القصف الجوي فقط في ظل خطورة المحاولة برا، فإسرائيل مضطرة لهذا الخيار لاستعادة صورتها وثقة شعبها بالجيش والمنظومة الأمنية، بعد تعرضهما لضربة قوية ومذلة على يد المقاومة الفلسطينية وفي عقر دار إسرائيل. غير أن الاحتلال يدرك جيدا بأن الهجمات الجوية بالطائرات والقصف المدفعي قد تكون قادرة على إلحاق أضرار في البنية التحتية والمباني في قطاع غزة، لكن ذلك لن يجدي نفعا في دفع حماس للتراجع وتقديم تنازلات.

-خيار إسرائيل بالحرب برا يقابله تخوفها من استخدام "حماس" للعدد الكبير من الأسرى الذين استطاعت جلبهم إلى قطاع غزة كدروع بشرية، مما سيشعل نار غضب الإسرائيليين في الداخل ويعرض الحكومة لمشاكل كبيرة قد تطيح بها مستقبلا.

-عملية "طوفان الأقصى" تتزامن مع مساعي الولايات المتحدة لتوسيع نطاق التطبيع الإسرائيلي العربي وإبرام صفقة سلام بين السعودية وإسرائيل، وهو ما يفسر بعض الأهداف المهمة التي سعت حركة حماس لتحقيقها من خلال هذه العملية، إلا أن قياس الآثار المحتملة لهذه الحرب على مسار التطبيع السعودي الإسرائيلي غير واضح، لكنها بالتأكيد ستجعل الأمور أكثر تعقيدا.

-هذه التطورات الجارية تظهر بأن مساعي الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل لخلق واقع إقليمي جديد في المنطقة، وقدرتهما على التأثير في الديناميكية المباشرة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي تبدو محدودة جدا، وأن سلاما عربيا إسرائيليا لن يؤدي بالضرورة إلى سلام إسرائيلي فلسطيني في نهاية المطاف إذا لم يأخذ بعين الاعتبار المصالح الأساسية للفلسطينيين، والظروف الموضوعية الأساسية المتحكمة بهذا الصراع.

-هذه الحرب الإسرائيلية-الفلسطينية سيكون لها أثر واضح على الحرب الروسية-الأوكرانية، وستكون روسيا المستفيد الأكبر منها، حيث تسعى هذه الأخيرة إلى صرف الانتباه الدولي عن المشكلة الأوكرانية من جهة، ومن جهة أخرى ستضطر الولايات المتحدة التي سعت لتحقيق الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ومنع اندلاع صراعات فيها، إلى تقليص دعمها العسكري لأوكرانيا مقابل إعطاء الأولية لدعم حليفتها إسرائيل، خاصة إذا ما طال أمد الحرب على قطاع غزة.

عموما، يمكن القول بأن حركة "حماس" نجحت من خلال عملية "طوفان الأقصى" في دفع جميع الأطراف الإقليمية والدولية لإعادة حساباتها، ووجهت صفعة كبيرة لإسرائيل، أبانت عن ضعف أمنها الاستخباراتي والعسكري، ومن المتوقع أن يكون لذلك تداعيات داخل إسرائيل نفسها، وعلى مسارات التطبيع التي تنوي القيام بها مع دول المنطقة. كما أن هذه الحرب لا تزال في بدايتها ومن المؤكد أنها ستحمل مستجدات كثيرة وتفتح المجال لاحتمالات عديدة.

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،2006-11-18 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

2405

hcrsiraq

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية